للتمرحل في سياق الصراع إلى استراتيجية لانهاء الصراع واستبداله بالتعايش، توالت، وتراكمت، عبر مؤتمرات القمم العربية المتلاحقة وعبر محصلة توافق السياسات العربية المعنية، سواء السياسات الجماعية المعلنة أو السياسات القطرية المنفردة. ولسنا بحاجة الى حصر تلك المعطيات، أو التذكير بأبرزها؛ لكننا نستذكر من وقائع الشهور السالفة مؤشرات ذات مغزى واضح:

○ تمسّكت قيادة منظمة التحرير الفلسطينية بنهجها الحالي، الداعي إلى مفاوضات مع اسرائيل على قاعدة قرار مجلس الأمن الدولي الرقم ٢٤٢، الذي رفضته في السابق، ومضت في مرونتها السياسية، على الرغم من تصلّب الرفض الرسمي الاسرائيلي لأي تعامل تفاوضي مع المنظمة، ولأي دور لها في التسوية، وعلى الرغم من البرود الاميركي الذي لم يقدّم الى المنظمة ما يساوي استجابة قيادتها للمطالب الاميركية، بدءاً بالموافقة على قرار مجلس الأمن الدولي الرقم ٢٤٢ لعام ١٩٦٧، وما يتضمنه من اعتراف بإسرائيل وبشرعية وجودها، وانتهاء باعتبار بعض ما نصّ عليه الميثاق الوطني الفلسطيني «متقادماً»، حسبما جاء على لسان الرئيس الفلسطيني، ياسر عرفات.

○ تمّت عودة مصر إلى جامعة الدول العربية ومؤسساتها، وأعادت الدول العربية علاقاتها الدبلوماسية مع مصر، متراجعة عن كل الشروط التي سبق أن أعلنتها لمثل هذه الخطوة من إلغاء اتفاقيتي كامب ديفيد وقطع مصر علاقاتها الدبلوماسية، والسياسية، والاقتصادية، والثقافية، مع اسرائيل، أو، على الأقل، غلق السفارة الاسرائيلية في القاهرة. وهنا تختلط الأمور في قياس نقطة التقاء الموقف العربي العام مع الموقف المصري الذي يكرر تأكيد التزامه القطعي بما توصل إليه من «سلام» مع اسرائيل: هل ثمّة التزام مصري غير معلن باقتراب بطيء، هادىء، من الموقف العربي العام إزاء التطور، والنهج، اللذين أدّيا إلى قطيعة الدول العربية مع مصر، أم أن هناك شعوراً عربياً بتجاوز جملة التعاطي الانفرادي، الذي مارسه الرئيس السادات عبر توقيعه «معاهدة سلام» منفردة مع اسرائيل، واصراره على تطبيع العلاقات معها، ما دام جوهر الموقف العربي العام يلتقي مع روح نهج التسوية وأهدافه؟

○ حرص الرئيس المصري، حسني مبارك، على طمأنة إسرائيل، ليس فقط بالتزام مصر السلام معها، وانما بأنه ليست لدى العراق نوايا «عدوانية» تجاه اسرائيل أو تفكير بالقتال ضدها. وبعد أسابيع قليلة من تصريح الرئيس مبارك بهذا الصدد، أطلقت اسرائيل ما اعتبره بعض المراقبين بالون اختبار، حين نقل عن «موظف اسرائيلي كبير» اقتراح اسرائيلي «للوصول إلى اتفاق استراتيجي بين اسرائيل والعراق لعزل سوريا»[٦]. وهو ما نرجّح، شخصياً، ان يكون تشويشاً اسرائيلياً محسوباً للامعان في تفتيت الموقف العربي أكثر منه بالون اختبار، وفي الوقت عينه تكشفت تفاصيل صفقة مقايضة تتضمن شراء اسرائيل نفطاً إيرانياً، في إطار السعي الى دور إسرائيلي في تسهيل إطلاق الرهائن الأميركيين والأوروبيين المحتجزين لدى منظمات موالية لايران، لتعزيز دور اسرائيل كلاعب رئيس في المنطقة. وفي هذا السياق، لا يجوز نسيان أن إسرائيل لم تتردد، عند استعار الحرب العراقية ـ الايرانية، عن قصف المفاعل النووي العراقي وتدميره، ولا يجوز، ايضاً، نسيان ان العراق نجح، مؤخراً، في إطلاق صاروخ فضائي كسر احتكار اسرائيل للتفوّق التكنولوجي في هذا المجال، إقليمياً.

○ على الرغم من نظرة مراقبين كثيرين إلى مجمل الدور السوري، خلال العقد الماضي، على أنه عناد معزول وتفرّد ابتزازي في تصلّب محسوب تجاه نهج التسوية السائد عربياً، تدخل في حساباته الأزمة الاقتصادية المتزايدة في سوريا والاستنزاف الكبير للجهد السوري في لبنان، فإن ما